

الفتن والمخرج منها

لمعالي الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم
الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .. وبعد :

فإن الله سبحانه يمتحن إيمان عباده، وصدقهم في الثبات على
ما يحب، ويذكرهم عن الغفلة بالمصائب والفتن، لينتبهوا لما حصل
من تقصير، أو اقترفوا من سيئات، حتى تتحرك القلوب، وتبدأ
محاسبة النفس، مع هذا الابتلاء يقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ^(١).

والفتن والمصائب التي تصيب الفرد، أو يتعدى ضررها
للمجتمع، هي محك الإيمان، والبوتقة التي يبرز فيها تطهير القلوب،
ليكون من ذلك تحسين الأعمال، إذ لا يجلاً صداماً الفتنة إلا التوبة .
فقد تكون المصيبة أو الفتنة للمؤمن وراءها خير أو داعية إلى خير،
ودافعه عن شر أكبر حتى يرجع العبد إلى ربه، ويتوب من ذنبه،

(١) سورة الملك، الآية ٢ .

فيصلح من عمله ما فسد، وقد تكون للفاسق والكافر، فيما يتعدى للناس خيراً ومكاسب، فيزداد في عمله الذي يبغضه الله استدراجاً، ليزداد إثماً فوق إثمه جزاء وفاقاً، يقول سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(١)، كما ابتلى قارون بكثرة المال، وفرح بذلك وازداد غروراً، ولم يشكر نعمة الله عليه، بل قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢).

والفتنة قد تكون في النفس، وقد تكون بالمال كثرة أو قلة، وقد تكون بسبب الولد، وقد تكون بأي شأن من شؤون الحياة الإنسانية، سواء كان الإنسان فرداً أو مع أسرته، أو جماعة.

ولما كان قد جاء في القول المأثور، عن بعض علماء السلف: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا دفع إلا بتوبة، فإن الفتن للمؤمن امتحان وابتلاء، ومثلها الكوارث والمصائب، يؤجر عليها، وتزيده تمكيناً في طاعة الله، وعرفاناً بفضل سبحانه، ليحمده عليها ويشكره، على أن أعانه على تحملها، والصبر عليها، كما حصل لأنبياؤه الله، وحتى يحاسب نفسه، لإدراك المدخل الذي جاءته الفتنة معه، ليعالج نفسه، ويحسن عملها، توبة وإنابة إلى الله، يقول سبحانه: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٢) سورة القصص، الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

ولذا قال عنها بعض العارفين: (إنها محك الإيمان، وتمحيص العمل)، وما ذلك إلا أن الفتن التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، في آخر الزمان، يرقق بعضها بعضاً، وأعظمها فتنة الدين، التي يوقد جذوتها، ويشعل فتيلها عدو الله إبليس، ويثيرها أعوانه من شياطين الإنس، وأعداء الله ورسالاته: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۝ ^(١) ۞ .

وهذه هي التي يحذر الله ورسوله منها، وجاء بها الدعاء المأثور: (ولا تجعل مصيبتنا في ديننا) . والفتنة إذا وقعت، اصطلى بنارها الجميع، ويعمهم عقاب الله سبحانه، ويعثون على نياتهم، ألم يقل سبحانه: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۝ ^(٢) ۞ .

وحذر صلى الله عليه وسلم في قوله الكريم: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو يضربن الله بين قلوبكم، ثم يلعنكم كما لعن الذين من قبلكم)) ^(٣) .

جاء هذا التحذير الشديد، من الرسول الكريم صلى الله عليه

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٢ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٥ .

(٣) رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود: جامع الأصول، ١:

وسلم، في تأكيد لدلالة الآية الكريمة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ٧٨ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٩^(١).

كما أن الفتنة لغير المؤمنين: إنذار وامتحان، لكي يعودوا إلى دين الله الحق، ومن لم يستفد من أثر الفتنة فإنما لتقوم عليه الحجة، وحتى يزداد في غوايته بإصراره يقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ نُمَلِّى هُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٧٨^(٢).

وفي نزول أول آيات سورة العنكبوت يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢١^(٣).
قال بعض المفسرين: أموراً متعددة في سبب النزول، منها ما ذكره السيوطي في تفسيره، قال: أخرج ابن ماجه وابن مردويه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق أول من أسلم

(١) سورة المائدة، الآية ٧٨، ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٨ .

(٣) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣ .

الفتن والمخرج منها _____ د . محمد بن سعد الشوير

من الرجال وصدقه، وسمية أم عمار، وعمار بن ياسر، وصهيب وبلال والمقداد .

فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدرع الحديد، وأما بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد ^(١) .

تعريف الفتن :

الفتن جمع فتنة، يقال: فتن المعدن إذا صهره بالنار ليختبره، وفلان فتن فلاناً ليحول به رأيه أو دينه .

وفي التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ^(٢) .

والفتان الشيطان، واللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم، والفتانان: الدرهم والدينار .

والفتنة: الإعجاب بالشيء والاستهتار به، وبليلة الفكر، والعذاب والضلال، وفتنة الصدر: الوسواس، هذا هو تعريفها اللغوي، وفي الشرع وضحها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) الدر المنثور ٦ : ٤٥١ .

(٢) سورة البروج، الآية ١٠ .

أما في الاصطلاح :

فهي كل ما يث في المجتمع ويؤثر في حياة أبنائه: أمناً ومعيشة وخلقاً وعقيدة وما ذلك إلا: أن الفتنة أو الفتن: كالنار تحت الرماد، ساكنة هادئة، حتى يأتي من في قلبه مرض، وجبلت على الشر نفسه، وذلك لحبه للشر والفساد فيحركها ويشعلها: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾^(١).

ومن كان كذلك فإن حواسه لا تهدأ وخلجات قلبه لا تسكن، إلا على السعي في إشعال فتيل نار الفتنة، وبلبله الأذهان، واخلخله المجتمع، لأنه شقي من الأشقياء، ويدفعه لذلك مرض في قلبه، ولوثة في فكره، سواء كان ذلك طبعاً في نفسه، أو تطبعاً لتأثره بمن أغواه .

وما ذلك إلا أن صاحب الطبع الرديء، تنمو فيه الخصلة، كلما سنحت له الفرصة، ليكبر معه حسب العدوان والإساءة، فتبدأ معه الآثار صغيرة، ثم يسعى جاهداً في تكبير الصغائر، وتجسيم الأمور، بالكذب وقلب الحقائق، لتكون في نظر من يريدهم المسيرة في ركبه مساوئ، حيث يتم تأليب من يتعاطف معه أو يرضى بباطله، الذي جسمه في الأعين على أنه محاسن أما صاحب الطبع: فإنه صاحب الوفاض الخالي، والسذاجة في الإدارة، وقصر النظر في

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٥ .

عواقب الأمور .

فيأتي من ينفخ في روعه، ويوغر صدره على الفئات الغافلة، بعد تجسيم الأمور، وتخطيط الآخرين لما آرب في نفس صاحب الطبع، وغايات وعد بها ودفع إليها، ليكون بوقاً ينفخ فيه، من حيث لا يدري عن عواقب الأمور التي دفع إليها، وهو في الحقيقة كبش فداء، ولجهالته: أصبح دمية في أيدي أصحاب الأهواء، يحركونه لمصالحهم كيفما شاؤا، ويستغلونه في تحقيق ما يريدون، ولا يهمهم مصيره وما تكون نهايته.. إذ قد يكون انساق لطمع مادي، أو مصلحي، أو لهدف لا يعرف غايته، بعد أن انخرق فكره .

فيتعاون المؤثر والمؤثر فيه، في تعاملهما الإفسادي، والتدميري في عملهما المشترك، الذي يعتقد أنه خادم للهدف المشحون بالأكاذيب والضلالات، لخدمة الفكرة التي جعلت شعاراً، لما يراد من شر .

والله سبحانه يمتحن قلوب أهل الإيمان بالصبر على الفتن، وحسن التحمل في مقابلتها، دون أن تمس جوهر العقيدة، أو يكون لديه ميل للفتنة ودعاتها: يقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾^(١).

من المستفيد منها :

إن الفتن عندما يشتعل فتيلها، بسبب أو بدون سبب ظاهر،

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٠ .

تبدأ دائرة هذا السعير تتسع شيئاً فشيئاً، كالحرقيق في الهشيم، الذي يأكل الأخضر واليابس، ويدمر ما امتدت إليه نار هذا الحرقيق .

فإن شياطين الإنس، وأهل الأهواء، ومن في قلبه مرض، سواء كان بالنفاق: مرض الشهوة والهوى أو مرض التقليد والسير بغير هدف أو المرض الأشد وهو الحسد والكراهية، بدون أن يفكر إلا فيما يتضمنه الحسد المذموم ممن يلتئم جمعهم، (كما تلتئم الأكلة على قصعتها) ^(١).

كل واحد من هذه الفئات، يزيد نار الفتنة اشتعالاً، ليعود بثمرة ظاهرة أو محسوسة، لأن القلوب لم تحصن بالإيمان الصادق، فكانت مرتعاً للأفكار الرديئة، التي تضر بالأمة ولم يكن العقل محصناً بنور الثبات على الحق، ليتبصر ويسترشد، ولا بنور الإرشاد وحسن العقيدة، فلا يستفيد من ذلك الوضع، غير الأعداء المتربصين بالأمة الإسلامية، لإفسادها وخلخلة صفوفها، بما أصاب أمنها من جراء هذه الفتنة الموجهة من الأعداء للإساءة والإضرار حسداً، وحباً في النفاذ للمجتمع الإسلامي، وتسييره كيفما يريدون، خلف شعارات مختلفة وحسبما مر بنا: فإن الفتنة أنواع: منها فتنة المال، وفتنة النساء، وفتنة الهوى وحب التسلط، وفتنة الشهوات، وفتنة الشبهات، وفتنة الولد والأهل، وفتنة الجور والبغي وغيرها من الفتن التي تتلبس بأزياء

(١) تشبيه وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث الفتن .

مختلفة، وتحت مسميات متباينة، كما أوضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كقطع الليل المظلم).. تتلاحق بعضها وراء بعض .
وكل محرك لنوع من أنواع الفتن، قد أضمر مصالح يريدها، ومفاسد ييثرها لتحقيق غرضه، وأشد هذه الفتن: فتنة الدين، الذي هو أعز ما يجب أن يحرص عليه المسلم .

وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من (فتنة المسيح الدجال)، وخوف أمته منه، حيث أخبر أن أعظم الناس، شهادة عند الله سبحانه، ذلك الرجل الذي تصدى للدجال وكفر به ^(١).

والناس في تأثرهم بالفتن، يختلفون بحسب منزلة الإيمان من قلوبهم، سواء بالفتنة الخاصة في النفس والولد والأهل، أو الفتنة العامة: في المجتمع وبالآفات والنوازل، ووفرة المال والتكاثر به وغير ذلك .

ذلك أن الفتنة التي تمر بالمؤمن، يستفيد منها بقدر إيمانه، صبراً وتحملاً يؤجر عليه وتفقداً لجوانب الضعف في نفسه، ليعالج ذلك، ويصلح ما اعوج من أعمال نحو أسرته، أو ما بدر في مجتمعه ليكون ساعياً مع غيره، في إزالة ما يقدر عليه بيده أو بلسانه، أو مساهمة بجاهه وماله، أو بقلبه وهو أضعف الإيمان، لأن المؤمنين يسعى بذمتهم أدناهم ^(٢)، فيكون ذلك: بالنصح وحسن التوجيه،

(١) تراجع أحاديث المسيح الدجال في كتب الحديث: باب الفتن، فعند مسلم

٥ : ٧٢٩ - ٨١٤ .

(٢) تراجع في هذا تفسير الآية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ سورة الحجرات الآية =

والتعليم والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أهمية تأكيد الفتنة :

يقول البلاغيون: زيادة تأكيد المبني، زيادة في تمكين المعنى.. ولفظ الفتنة واشتقاقها مفردة ومجموعة، جاءت في كتاب الله عزوجل، أكثر من ستين مرة (٦٠)، هذا علاوة على ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلا للأهمية وما وراءها من دلالات، لكن أشدها نكاية: من يسعى في الفتنة، ومن يحركها من سكونها: رغبة في تأجيج الشر، وحسداً ضد أهل الإيمان، ورغبة في تغيير بعض معالم دين الإسلام، ببذر ما يساعد على نقض عرى دين الله الحق: واحدة بعد أخرى، تحت مسميات وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان .

وإذا تأمل المسلم: ما جاء في كتاب الله، من آيات الفتن، فإن المستقرئ لها بتمعن وعمق، وربط آخر الآية بأولها، أو بحسب السياق والدلالة، فإنه يجد أغلبها يرتبط بأصحاب الأهواء، من أهل الكتاب المعادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من الحق من ربه جل وعلا، رغبة في صرف أمر الله وتشريعه إلى ما تهوى القلوب، وتصف الألسن، والحق لا يتبع الهوى، يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

= ١٠، عند ابن كثير والسيوطي وغيرهما .

وَمَنْ فِيهِمْ^١ ﴿

كما يرتبط الجزء الآخر: بالباطنيين من المنافقين، ومن ارتبط بهم، ممن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، فهم على منهج واحد مع أهل الكتاب في نظرتهم للفتن، من حيث معاندة الحق، والرغبة في زعزعة الأمة، وفتح ثغرة ينفذ منها العدو، للتشكيك في تعاليم الإسلام، محبة في تخفيف ثقله على بعض النفوس، يقول سبحانه في السحر، الذي هو فتنة من الفتن، وشر يفسد المجتمعات، ويفكك الأسر المترابطة: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٢).

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر، ذات نهار ثم قام خطيباً إلى أن غابت الشمس، فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه: حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. فكان مما قال: (يا أيها الناس إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تفعلون ؟ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء) إلى آخر الحديث المطول^(٣).

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧١ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٢ .

(٣) ينظر مسند الإمام أحمد في الفتن، وكتاب النهاية لابن كثير ١ : ١٤ .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على أمته باجتنب طريق الشر، وعدم الوقوع في المحاذير التي تقودهم إلى المهالك، فإنه يحذرهم من الفتن، ويدعوهم إلى عدم الخوض فيها، بل واجتنابها، ومن ثم الانعزال عمن دخل فيها، في مثل هذا الحديث الذي رواه البخاري بسنده، إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أمين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأورده البخاري في باب الفتن، قال أبو إدريس الخولاني: سمعت حذيفة بن اليمان، يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني .

فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم ويستنون بغير سنتي يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ . قال : دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها . قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا؟ قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك^(١) .

(١) يراجع صحيح البخاري المتن ٦ : ٩٣، وعند مسلم المتن أيضاً ٥ : ٧٢٩ -

حتى أنه عليه الصلاة والسلام، يأمر من عنده سيف أن يغمره ولا يخوض في الفتن، التي تموج في مجتمع المسلمين، كما يموج البحر، وتتكلم فيها الرويضة .

قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط: والرويضة تصغير الرابضة: وهو الرجل التافه، أي الحقير، يتكلم وينطق في أمر العامة، وهذا تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للكلمة ^(١).

وما ذلك إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته، ما علمه الله عن الفتن وما تجر إليه من مصائب، وما تكنه صدور من يخوضون في الفتن، التي تكون في مظهرها وبدايتها، لا تثير شيئاً عند ضعاف الدراية، فيحذرهم منها، ويبين مساوئها، وما يجب على المؤمن عمله إذا أدركته، لأن أسلم مالعقيدة المؤمن أن يعتزلها وأهلها .

كل هذا خوفاً على الأمة من ولوج باب الفتن، بدون حصانة ولا قدرة على تمييز ما تحت رمادها، فيقودهم ذلك إلى مصائب لا تحمد عقباها في الدين فيفتنوا .

ولذا اهتم الصحابة بالتبليغ واهتم علماء السلف والمحدثون بهذا الجانب، وأبرزه المحدثون في كتبهم، ورصدوا تحت باب الفتن،

= ٨١٣ وفيه أحاديث أخرى في الفتن، وانظر النهاية لابن كثير ١ : ١٦ .
(١) القاموس المحيط ٢ : ٣٣١ .

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع حتى يعرف كل مسلم ومسلمة، مداخل الفتن والمخرج منها، وهذا من رأفته ورحمته بالأمة عليه الصلاة والسلام، كما اهتم علماء التفسير رحمهم الله، في توضيح الدلالة، عند المرور بنوعيات الفتن التي جاءت في كتاب الله، وتحلية المعنى وسبب تلك الفتنة، ثم التحذير من كل فتنة، مع بيان ما تدل عليه ومناسبتها ونوعية تلك الفتنة .

كل هذا جاء في شرع الله، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، توضيحاً وبياناً، ليعرفه المسلم، حتى يتعد عنه، كما هو حرص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: خوفاً من الوقوع في المحاذير وما تجر إليه الفتن من انحراف وضلالات .

ونذكر من ذلك: أن الظالمين والمفسدين الذين تكرر وصفهم بهذا في القرآن الكريم، وأن أصحاب الفكر المنحرف عن منهج الإسلام، والفئات الضالة ومرتكبي الآثام: بتكفير علماء الأمة وولاية الأمر، والراغبين في تفريق الكلمة، وبث الإرهاب والفوضى، كل هؤلاء ومن يسير في ركبهم هم مشعلوا نار الفتنة، ومحركوها من سكونها، طمعاً في تحقيق الفوضى والاضطراب في المجتمع، وبما يفرح الأعداء: طعناً في الدين، وتشكيكاً في تعليماته، وبث الاضطراب والفساد في المجتمع الإسلامي، ومن ثم يغتر الجهال والأحداث الذين لا يدركون العواقب، ولا نتيجة ما يقادون إليه، بل ولا عن نوايا من

يحركهم ويغذيهم: فكراً ومالاً، وتخطيطاً، وحماسة، وفتياً .

فإذا اتسع لهيب الفتنة تأثر بلظاها المحسن قبل المسيء، ويختار فيها الحلیم: سبياً ومسبياً، ولا يظهر للحليم والمتابع من هو المستفيد حسب معاييرہ، أما عند الله فإنها خسارة وليست بفائدة المخالفة الساعي فيها، والمحرك لها بأي طريقة كانت، ولو كانت كلمة منه لا يلقي لها بالاً، ضد شرع الله، ألم يقل سبحانه آمراً ومحذراً من الفتن ونتائجها لأهل الإيمان: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١).

وبين سبحانه أن المخالفين لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم تحت طائلة عقابين: الفتنة أو العذاب الأليم فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).
إلا أن الملاحظ في الواقعين في الفتن: موت الإحساس والغيرة، وعدم التفكير في العواقب .

فهم الرعيل الأول :

ولأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم خير القرون بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، هم القدوة، وهم أقدر فهماً للنصوص الشرعية، وعاصروا نزول القرآن، وجالسوا رسول الله

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٥ .

(٢) سورة النور، الآية ٦٣ .

صلى الله عليه وسلم وأخذوا عنه، وسألوه عما يشكل عليهم .
ولمخافتهم على دينهم أن يندس، ولحرصهم على حسن
الاتباع فإنهم يسألون ليطبقوا، ويتخوفون من الفتن لما أدركوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تأكيدات وتخويف من الفتن،
وبما ينور أذهانهم من علامات وضلالات تصاحب الفتن، ولما تجر
الإنسان إليه من حيث لا يدري .

وما ذلك إلا أن المغزى الذي حركت الفتنة من أجله
غامض، وكل شيء غامض في دلالة ومغزاه. يحدث الريبة في المقصد
البعيد، ولا يدرك هذا إلا من أخذ للأمر أهبطه، واسترشد من ذوي
العلم والعقل، ومن منحه الله فطنة وبعد نظر، كما يروى عن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه، لما أظهرت الفتنة رأسها، وتباينت
الآراء، فقال: لمن حدثه كلمة حق يراد بها باطل .

يبين ذلك الفهم مما رصد في أحاديث الفتن، واعتزال بعض
الصحابة لها. وملاحقتهم رضي الله عنهم لمن عرف عنه: حديثاً
واحداً في الفتن، حتى يستفيدوا ويعلموا من بعدهم، ثم تحذيرهم
ممن بان لهم علامات في محبة الفتن، أو الخوض فيها: إما باللفظ
اللساني، أو التعاطف الوجداني .

حتى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - كما مر بنا نموذج

من ذلك - ، كان يخاف على نفسه الفتنة، ويسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحاشى الوقوع فيها، لأنها شر، وتدعو إلى الفساد، والإضرار بالآخرين. ولشهرته بين الصحابة بهذا، فقد كانوا - وخاصة بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وانفتاح باب الفتنة بعد كسره، كانوا يسألون حذيفة عما علم عن الفتن والمحن، من نبي الله عليه الصلاة والسلام، فيجيبهم: لأمانة تبليغ العلم، وعدم كتمانها بما سمع، وبما أجابه رسول الله عنه أسئلته فيها .

ولا شك أن الفتن بأنواعها، وتعددتها في أي عصر ومكان، بحسب الأوضاع الاجتماعية للناس، وما وراء هذه الفتن من نتائج وظواهر. وما يستعمل في سبيلها من وسائل تبليغية: سواء كانت إعلامية بالأكاذيب والافتراءات، أو عملية بالتخريب والتخويف والقتل. أو غير ذلك من أسلوب خفي، وخلف أي غاية كانت. تراهم يظهرون غير ما يبطنون .

فكلها شر وفساد والله لا يحب الفساد، والشر عمل شيطاني، لأن أول من قاد إليه: عدو الله إبليس، وأخذ على نفسه عهداً أن يضل بني آدم، ويعدهم ويمنيهم، وأن يأتيهم من كل جهة حتى لا يشكروا نعم الله عليهم: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

(١) سورة النساء، الآية ١٢٠، وفي الأعراف وعيد لبني آدم بإغوائهم من إبليس =

ولنشر أعماله والسعي فيها، وهي كلها فتن وضلالات أعوانه من شياطين الإنس والجن، قال الله عنهم: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۚ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١). واقتفى أثرهم التابعون، ثم العارفون من علماء هذه الأمة، جيلاً بعد جيل، بما برز في كتبهم، وما عرف عنهم من مواقف ضد أصحاب الأهواء، والشبهات، وأرباب الفكر المنحرف.. وذلك بالتصدي والرد: التصدي في المجابهة، وفي التعبير بالبغض والهجران، وعدم إفساح المجال لبروز ما يدعون إليه. والرد: بإيضاح الخطأ قولاً في كل موقف، وفضح ما ينشر أصحاب الهوى والفتن: بالإجابة على التساؤلات: شفاهة أو كتابة حتى يبينوا للناس عن الفتن ومصادرها ودعاتها.

والخير والشر: قد أوضحت شريعة الله الحق: (دين الإسلام)، أمام الإنسان بمصدريها: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: منافع الخير والطرق المؤدية إليه. ومضار الشر والدعاة إليه، والنتائج التي يصل إليها من سعى في الفتنة: ابتداء أو دخلها مقوداً

= بعد أن أنظره الله إلى يوم الدين: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ ثُمَّ لَا يَجِدُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢). ١٦، ١٧.

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٢.

إليها: ترغيباً أو ترهيباً، أو عن سوء فهم لقلة بضاعته في فهم دينه، أو عدم درايته بفقه الحوادث، وما يجب عليه حيالها .

ولتصارع الخير والشر أمام الإنسان، فقد جعل الله له سمعاً وبصراً، ومنحه فؤاداً وحواس حتى يميز بين هذا وذاك، ويقارن بالآثار المحسوسة والنتائج، لتقوم عليه الحجة، في حالة انحرافه وميوله مع الشر، ولا يعذر بالجهل لبيان الحق ووضوح دليله، ولأن الله قد أمر بسؤال أهل العلم المعتبرين ليبينوا للناس الطريق السليم، ولا يكتُمون.. وفق ما يبينه الله في كتابه الكريم، وشرحه رسوله عليه الصلاة والسلام لصحابته، والأمة بعدهم تبع، يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

وقد خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً، ووضحه بأول هذه الآية بأن دين الله سبحانه وشرعه الذي شرعه لعباده، واضح لا اعوجاج فيه، ثم خط خطوطاً جانبية، منحرفة عن الخط المستقيم، وقرأ أمام أصحابه بقية الآية وحذر من هذه الطرق، وهي التي تمثل الفتن، ومن سلوك طرقها، لأنها شر وتدعو إلى شرور عظيمة فيها الخلاف والابتعاد عن الجماعة، أما المستقيم فهو الطريق الذي أمر الله نبيه، بتوجيه الناس إليه، وهو طريق الخير، ويوصل إلى

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

كل ما فيه نفع وخير ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١)،^(٢).

ومن التبتست عليه الأمور، واحتار عن معرفة الطريق الأسلم، خاصة وأن طريق الشر عليه دعاة يرغبون فيه ويلبسون على الآخرين، وذلك بالتزيين وزخرف القول .

هنا يتعين على راغب النجاة، أن يتعد عن الدعاة المغرضين، وما يعرض من شبهات، وعن علماء الضلال الذين يفتون بغير ما أنزل الله، ويتجرأون على الفتيا بغير علم، ويتجه إلى العلماء الربانيين المعروفين بالورع، والفهم الصحيح في الاستدلال وتمحيصه، بدليله الموثق، لسؤالهم والاسترشاد منهم، عن الطريق السليم الذي لا اعوجاج فيه، حتى يسلكه السائل وهو مطمئن عن الوقوع في الفتن أو الركون لأهلها .

وهؤلاء العلماء هم الذين عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣).

لأن خشيتهم لله، وخوفهم من عقابه، عندما يفتون بغير حق، أو بالكذب والبهتان يمنعهم من الجرأة على الله، حتى لا يضل أحد

(١) يراجع في الآية وما قيل في الصراط المستقيم، تفسيرها عند ابن كثير ٢:

١٩٠، ١٩١، وما رواه أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) سورة الفاتحة، الآية ٧ .

(٣) سورة فاطر، الآية ٢٨ .

بسببهم، فيتحملون إثمهم زيادة عن إثمهم، ويزداد الإثم إذا كانت الفتوى الضالة تفتح باباً من أبواب الفتنة والبليلة في المجتمع الإسلامي، وما ينتج من فساد وشر . هؤلاء العلماء هم الذين أمر الله بسؤالهم، والتلقي عنهم في قوله تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وأهل الذكر هم العلماء، أهل الورع والتقوى، الذين اهتدوا بهدى الله، وامتألت قلوبهم خشية لله، وامتثلوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقتدوا بفهم الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم، في المنهج والمأخذ الحسن، والعطاء الذي طبقوه في أنفسهم أولاً، ليؤخذ عنهم قدوة ونشروه في الفتوى والتبليغ، إبراء للذمة، وخوفاً من عقاب كتمان العلم ^(٢) .

فقد روى أبو داود رحمه الله: أن معاذ بن جبل الصحابي الجليل رضي الله عنه، كان لا يجلس مجلساً للذكر إلا قال: ((الله حكم عدل، هلك المرتابون، إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول للناس: ألا تتبعوني،

(١) سورة النحل، الآية ٤٣ .

(٢) أخذوا هذا من قوله صلى الله عليه وسلم: ((بلغوا عني ولو آية))، وقوله: ((من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)) .

وقد قرأت القرآن ((؟.

ما هم بمتبعي حتى ابتدع فيهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة على لسان الحكيم، ويقول المناطق كلمة الحق^(١).

أما عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهو الصحابي المشهور بعلمه وورعه، فإنه ينبه الناس عن الفتن، ويحذرهم من مداخلها، يقول: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً، لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة^(٢).

ومن إدراك الصحابة رضوان الله عليهم وفهمهم لمداخل الفتن التي قد تمر بالمسلم نستدل على نظرتهم لما مر بهم في فتنة عثمان رضي الله عنه، ثم ما مر بهم بعد ذلك من انقسامات، وقف عندها علماء الإسلام، مما يدين دون تخطئة فئة ضد فئة، وقالوا: نترضى عنهم جميعاً، وهم مجتهدون لأنهم صفوة هذه الأمة، ندعو لمخطئهم بالرحمة، ولمصيبهم بالمغفرة .

فإذا كان الصحابة رضوان الله عنهم، هم نموذج للعلماء الربانيين الذين تراجعوا بعدما أدركوا بالدليل: المحذور مما دب في

(١) ينظر كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي الفهري الأندلسي رحمه الله ص ١٠٢، ١٠٣ .

(٢) رواه البخاري في باب الفتن برقم ١٢٧ .

بعض الصفوف، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وصمام الأمان في كل مجتمع، وخاصة في القرون الثلاثة المفضلة، حيث عرفوا حقيقة، الإسلام من مصدره، بعد أن تربوا على يد المعلم الأول نبي الله عليه الصلاة والسلام، فكانوا عارفين ومدركين، ووقفوا في التصدي للفتن ومجابهة الضلال بالدليلين العقلي والنقلي، وبالبرهان الساطع من مشكاة النبوة، فأعانهم الله، وتركوا لمن بعدهم نبراساً يضيء طريق الحيران، حتى يتروى ويستترشد، وما ذلك إلا أن: من كان بالله أعرف كان منه أخوف .

نماذج من الأشرار :

جعل الله سبحانه - لحكمة أرادها، وحكمته سبحانه بالغة-: الشر والخير متضادين ولكل منهما دعائه وأعدائه، فدعاة الخير وحماته، هم الأخيار الأتقياء، المستنبرون بنور الإيمان، المستجيبون لله فيما أمر، والمهتدون بهدي رسل الله .

ودعاة الشر هم: الأشرار الأشقياء، العاصون لأمر الله، والراغبون في إثارة الفتن وتوسيع دائرة الفساد والفوضى، والتعاون مع أعداء الله وأعداء شرعه في هذا الأمر .

وبالتمعن في مصدر شرع الله، الذي بعث به أنبياءه، نجد نماذج في كل أمة من الأمم بل وفي كل مجتمع من المجتمعات، وأن الأشرار هم مثيرو الفتن تلك التي وراءها عقاب من الله عاجل،

وآثار سيئة في المجتمعات، يصطلى بنارها المسىء والمحسن على السواء إلا من رحم الله، ويعتثون على نياتهم، هذا علاوة على انعكاسها على من سعى فيها، والعدو يفرح بما حل بالمسلمين، ويتفرج على ما حل بأهل الحق، مستأنساً لهذه البادرة في المجتمع الإسلامي لأنها تخدمه في تحقيق مآربه، في مثل :

١- قوم صالح عليه السلام لما عصوا الله وكفروا بنبيهم صالح، تمثل إفسادهم في قتل الناقة التي هي آية من آيات الله، وحرك الفتنة التي كانت سبباً في هلكة القوم، حسبما جاء عن خبرهم في القرآن الكريم، حيث نجى الله المؤمنين الأخيار، وعاقب الأشقياء الأشرار، يقول سبحانه في مشعل فتيل الفتنة: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَلَهَا﴾^(١).

قال السيوطي في تفسيره: أي أشقى القبيلة، وهو قدر بن سالف، عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود الذي قال الله فيه: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾^(٢).

وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم، شريفاً في قومه، نسيباً رئيساً مطاعاً، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: ألا أحدثك بأشقى الناس؟ قال: بلى قال: رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي

(١) سورة الشمس، الآية ١٢ .

(٢) سورة القمر، الآية ٢٩ .

على هذا - يعني قرنه - حتى تبطل منه هذه ، يعني لحيته ^(١) .

والذي قتل علياً، هو من الخوارج: عبدالرحمن بن ملجم، وهم باطنية، عليه من الله ما يستحق .

٢- يتأمر الكفرة، على كل نبي من أنبياء الله؛ لأنه يدعوهم إلى دين الله، ليخرجهم من ظلمات الكفر، إلى نور الهدى واليقين، كما قص أخبارهم الله في القرآن الكريم، ويقود فتنهم في محاولة لإطفاء نور الله، والإضرار بالمؤمنين، شرار الخلق كل في قومه، والكيد لدين الله، ففي كل قوم ، يتأمر شرارهم على نبيهم باعتباره المبلغ عن الله .

وذلك بعد أن تغلبت عليهم الشقاوة، يقول سبحانه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّ آلِمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال في حوار شعيب مع قومه: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴾ ^(٣) .

(١) الدر المنثور للسيوطي ٨ : ٥٣١ .

(٢) سورة القصص، الآية ٢٠ .

(٣) سورة هود، الآية ٩١ .

ويقول سبحانه عن قوم صالح عليه السلام الذين ديارهم شمال مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (١) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١١﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: المدينة هي مدينة ثمود فيها تسعة أنفار يفسدون في الأرض وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود، لأنهم كانوا كباراءهم، قال ابن عباس: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة، أي الذي صدر عنهم ذلك الرأي، وعشورتهم قبحهم الله .
والمقصود أن هؤلاء الكفرة الفسقة، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليه (٣).

فكل دعوة صالحة، وكل نبي من أنبياء الله يقيض الله سبحانه، شقياً يثير الفتنة، ضده وضد دعوته صداً وعدواناً، ولكن بهذا الابتلاء، يجب المقابلة بالصبر والاحتساب، لأن الغلبة للحق، والنصر لمن ينصر دين الله، يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٤).

(١) سورة النمل، الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) التيسير لتفسير ابن كثير تعليق الدكتور: عبدالله بن إسحاق ٣ : ٣١٤ .

(٣) سورة الفرقان، الآية ٣١ .

٣- أما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من رؤوس المنافقين، المثيرين للفتنة، ضد الرسول ودعوته، عبدالله بن أبي ابن سلول، الذي جاء من خبره في سورة المنافقين هذا القول الكريم: ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ ﴾^(١)، يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله، فلما سمع ابنه مقالة أبيه، التي فضحه الله بها، في القرآن، أخذ سيفه فأناخ على مجامع طرق المدينة، فمنعه من دخولها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلاً لأبيه: والله إن رسول الله هو الأعز، وأنت الأذل .

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلى سبيله، بإفساح الطريق لدخوله، وقال: والله لو أذن لي رسول الله في قتله لقتلته^(٢)، ولم تأخذه في الحق لومة لائم، لأنه رضي الله عنه يعلم أن والده من مثيري الفتنة وزعمائها، فقدم الدفاع عن دين الله الحق، وعن رسول الله على والده، وما كلامه الذي بثه في نفر من المنافقين إلا بداية في تحريك الفتنة النائمة .

وقد أبان البغوي في تفسيره على هذه السورة نماذج من منافقي المدينة، وإثارتهم للفتن^(٣). وفي هذا السياق جاء خبر الريح

(١) سورة المنافقون، الآية ٨ .

(٢) يراجع في سبب وحكاية ابن أبي وما قال: ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٨: ٢٦٩-٢٧٢ .

(٣) تفسير البغوي: معالم التنزيل ٨: ١٣٠-١٣٣ .

الشديدة، التي آذت الناس وتخوفوها، فقال لهم نبي الله عليه الصلاة والسلام: لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، توفي بالمدينة، قيل: من هو؟ قال: رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء اليهود، وكهفاً للمنافقين .

أما ابن سلول: فلم يلبث بعد عودته للمدينة، إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات، والمنافقون الذين يوقدون نار الفتنة، ويسعون فيها، يفضح أعمالهم، مافي قلوبهم من مرض كما فضحهم الله في سورة التوبة، بأعمالهم الباطنية، ومؤامرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث سماها ابن كثير في تفسيره وغيره من المفسرين بالفاضحة .

٤- ويهود المدينة: حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما وصل المدينة، وناصبوه العدا، وعلى رأسهم حيي بن أخطب رأس يهود المقدم فيهم، وكعب بن الأشرف تاجرهم، فكانوا يحرضون مشركي مكة، والأعراب حول المدينة، ويتآمرون مع المنافقين، ويدفعون أموالاً، ويقدمون آراء يريدونها للإضرار برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نقض اليهود عهدهم مع رسول الله، وحزبوا الأحزاب وجاؤا بهم في حملة كبيرة، رغبة في استئصال شأفة الإسلام، والقضاء على الإسلام وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظناً بأن خططهم الدنيئة بما فيها من تخطيط وتدبير جاء ذكرها

في سورتي الأحزاب والحشر وغيرهما .

فقد صور الله البلاء الذي نزل في قلوب الصحابة، وامتنانه سبحانه بصرف ذلك عنهم، وعودة الأحزاب خائبين فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾ ^(١).

ظن مثيروا الفتنة ومحزبو الأحزاب، أن عملهم الذي اعتمدوا فيه على أنفسهم وتحزبهم نافع ومفيد ونسوا قدرة الله وحمايته لدينه ونبيه والمؤمنين، محققاً لهدفهم في إطفاء نور الله، ومسكتاً لصوت الدعوة، والقضاء على رسالة الله، والحامل لواءها .

لكن الله سبحانه أبطل كيدهم، وفرق جمعهم وأنزل الرعب في قلوبهم، ونشر سبحانه خزيهم بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، حتى يعرف المسلمون، ويدركوا فضل الله الذي صرف عنهم هذه الفتنة العظيمة، ولتكون واقعهم عبرة وعظة، ليصرف أنصار دين الله، في كل زمان ومكان الطوابير التي تخفي نواياها، وتندس في صفوف

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٩-١١ .

المسلمين، وتبرز رؤوسها كل ما بانت الفرصة في محاولة لإضعاف شوكة المسلمين، وتثييط همهم لكي تضعف رابطتهم بالله سبحانه، لكن الله هو الناصر والمعين سبحانه^(١).

وسورة التوبة والمنافقون فيهما وفي غيرهما من كتاب الله الكريم، بيان عن أسلوب المنافقين والباطنيين المندسين، بين صفوف المسلمين، في إثارة الفتن وسعيهم فيها، ونماذجهم بارزة في كل عصر، ومع كل فتنة تظهر: سواء صغرت أو كبرت .

ذلك أن الفتنة أول ما يبدأ ظهورها صغيرة، كالشرارة التي يتعاظم حجمها، كلما وجدت من يهتم بها وينفخ فيها: (ومعظم النار من مستصغر الشرر) .

وسورة البقرة وآل عمران والتوبة، وغيرها من سورة القرآن: فيها تعرية بالصفات والأعمال لنوايا اليهود والمنافقين وكيدهم المبيت، ضد كل أمر يرفع راية الحق، ويدفع الباطل .

وكل ذلك من النماذج التي يجب أن يعتبر بها المسلم، ويأخذها قاعدة، بأن الفتنة تدور: إثارة وتتبعاً وسعيّاً، دائماً في أفئدة من ضعف الوازع الإيماني من قلبه، حيث ينشأ عنده إضمّار الشر، ومحبة الفساد

(١) لراغب الفائدة مراجعة تفسير ابن كثير لسورة الأحزاب، وما جاء في تاريخه البداية والنهاية عن غزوة الأحزاب، والسيرة لابن هشام، في حديثه عن غزوة الأحزاب ونصر الله لرسوله والمؤمنين فيها .

والتعاون مع المعينين عليه، والله سبحانه لا يحب المفسدين^(١).
ومن يستقرئ التاريخ الإسلامي، يجد لذلك أعمالاً ضمن
النماذج الكثيرة، إذ خلف كل شر فتنة مثارة، يحركها ويسعى فيها
رجال خانوا دينهم، وضيعوا أمانتهم، وتعاونوا مع أعداء الله في
حماية فتنهم، ابتغاء مطامع دنيوية، وحسداً مع حب الإضرار
والإفساد .

ولنا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطريقته في معالجة
الفتن، وتصرفه مع مثيرها خير قدوة بترسم خطاه، والاقتداء بمنهجه في
معالجة الأمور: بالرفق ولين الجانب، والحلم والنظرة الشاملة للعواقب،
حيث أمرنا الله بذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

(١) عن أعمال المنافقين في المدينة، بعد هجرة رسول الله إليها، وما عمله اليهود
وعلى رأسهم حيي بن أخطب، وأعوانه وكعب بن أشرف، وما بين اليهود
والمنافقين من ترابط وتعاون في الشر، لإطفاء نور الله عن أعمال هؤلاء
ومكائدهم، تراجع لطالب الفائدة: السيرة النبوية لابن هشام، وكتب التفسير
في الآيات المتعلقة بهذه الأحداث من السور: البقرة، آل عمران، النساء،
المائدة، المنافقون، الأحزاب، الحشر، وغيرها في كتب التاريخ كالبداية
والنهاية، في كشف مثيري الفتنة وأعمالهم، وهم يتكررون في كل زمان
ومكان متى وجدوا الفرصة .

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

المخرج من الفتن :

إن كتاب الله العظيم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كلمة له: لا تفنى عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم .

فإن من يتتبع آيات الذكر الحكيم، يجد فيه العظة والحل، لمن أراد الله به خيراً، يقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (١) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ (٢) .

ولا شك أن الفتن، ومن يحركها من هذا الاختلاف، ولا يثيرها في المجتمع الإسلامي إلا من يريد بالأمة فرقة وشرأ، وهي من السنة السيئة، التي يتحمل وزرها من سعى فيها، وحركها من نومها، يقول صلى الله عليه وسلم: ((من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)) (٣) .

ذلك أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها، وهو أثر رواه القزويني في كتابه: التدوين في تاريخ قزوين، وقال عنه: جاء في الأثر، ولم ينسبه (٣) .

(١) سورة هود، الآيتان ١١٨، ١١٩ .

(٢) من حديث مطول رواه مسلم في الزكاة، برقم ١٠١٧، والنسائي في الزكاة برقم ٧٥/٥، ٧٦، عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه .

(٣) ج ١ : ص ٢٩٧ .

فإن أهل الشر والفساد الذين لا يضمرون للأمة الإسلامية ولا لدين الله خيراً، هم الذين يزينون مداخل الفتن، ويتشوقون إليه، بالأمانى والوعود، حتى يسهلوا لأصحاب الأهواء ولمن في قلبه مرض طريق الدخول فيها، وقد يدخل فيها من لا يدرك السر الذي جذبه إليها، ولا الهدف الذي يتجه إليه . وكما يقال: الدخول في الشبكات سهل، لكن الخروج منها صعب .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما تحدث عن الفتن وأطال فيها، فقد حفظ ذلك من حفظه، وضعه من ضيعه، فإنما يحذر أمته منها، ويعطيهم الحلول التي تثبت قلوبهم، عندما تبرز أمامهم بوادر الفتن، وأبان لهم أن في كتاب الله، وسنته صلى الله عليه وسلم، خير خلف في قيادة الأمة ولحفاظ أبنائها على سلامة الجوهر الذي يعتز به كل مسلم، وهو دينه الذي شرعه الله من أجل التمسك به، والسير على ما يوجد في المنهجين الأساسيين: القرآن والسنة، من توجيه ومخاطبة للعقول السليمة .

وقد يكون من المناسب أن نتخاطب عقول بعض من طاشت عقولهم، في حوار يلامس الوجدان ويعين في فتح باب، يخرج معه من دخل في الفتن مجروراً أو مقلداً، لعل قلبه يلين، وفكره يستيقظ، إذ هذه الفتن، التي مرت بالبلاد، وحصل بسببها جراحة في القول، وعنّف بالتصرفات، وتدمير في الممتلكات، وقتل نفوس بريئة، وتموج

آثارها في كثير من المواقع على وجه الأرض، تحتاج من عقلاء الأمة، وعلمائها، إلى مناقشة الأمر بأساليب متنوعة، توضح المخارج من هذه الفتنة، والوسائل المعينة على ذلك.. ما بين وعظية، وعقدية، وبين وجدانية تحرك الأحاسيس والعواطف، وبين تخويف من عقاب الله، ودعوة إلى التوبة إلى الله فإن الله يقبل توبة عباده، ويفرح بها بشروطها الثلاثة: الإقلاع عن الذنب، والعزم الصادق بعدم العودة إليه، والندم على ما حصل .

وهذا في حق الله سبحانه الذي دعا عباده إليه في آيات كريمة من كتابه الكريم، منها هذه الآية: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١﴾.

والتوبة من أهم وأفضل المخارج من الفتنة التي تجر إلى المعاصي والآثام، ويرقص فيها عدو الله إبليس طرباً، ويزيدها أعوانه من شياطين الإنس والجن تأجيحاً وترغيباً، لأنه يحز في قلوبهم، أن تهدأ أمة الإسلام، وأن يكونوا صفاءً واحداً متراسين، قيادة ومقودين، علماء وعامة .

وهناك شرط رابع في التوبة، وهو المتعلق بالمخلوقين، بأن تعاد

(١) سورة الزمر، الآيتان ٥٣، ٥٤ .

الفتن والمخرج منها ————— د . محمد بن سعد الشويعر

الحقوق إلى أصحابها، واستسماحهم، سواء كانت مالا، أو عرضاً، أو غيبة أو غير ذلك، من الحقوق المادية أو المعنوية .
ويؤكد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في رأفة منه بالأمّة، ورحمة قبل فوات الأوان، حيث قال: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))^(١) .

وفي تحذيره صلى الله عليه وسلم من الفتن، بين المخرج منها، والتوبة التي جاء الحث عليها، في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، هي أهم المخارج من الفتن .
وجعل صلى الله عليه وسلم من المخرج من الفتنة، لمن وقع فيها، أو خاف مما حوله أن يجره إليها ليقع بقصد أو بغير مقصد، أن السلامة من ذلك: اعتزال الناس، وكسر السيف حتى لا يستعمله فيها، والاعتزال في شعب من الشعاب^(٢) .

- إن كل مخلص لدينه، وأمته وفق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))^(٣) .

(١) رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير، انظر: كشف الخفاء ١ : ٢٩٦ .

(٢) يراجع في هذا باب الفتن، عند البخاري وعند مسلم وغيرهما، وأحاديث حذيفة رضي الله عنه خاصة .

(٣) رواه مسلم والنسائي وأبو داود عن تميم الداري رضي الله عنه جامع =

فإن من النصيحة والإرشاد لمن يريد المخرج من الفتن التي استشرفت ديار المسلمين، ووراءها ما وراءها، دعوة من ولج بابها، أو وقع في بعض الأعمال التي تدعو إليه، إلى مراجعة النفس، في ساعة صفاء وتعقل، كما تعقل بعضهم، ممن أنار الله قلبه، وبعد ما رأى حسن المعاملة والتسامح، وبالحوار الفكري المستمد من كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، مع الهدوء والتعقل في النقاش، حيث أبان بصدق وإخلاص خطأ ما سار فيه ودعا من يتب إلى التوبة والتبرؤ من العمل وبعد ذلك نسألهم عن أمرين متضادين :

الأول: ما الهدف وما المصلحة، من هذا الأمر الذي اندفع فيه بعضهم وهل يوافق شرع الله، وما قاله العلماء قديماً وحديثاً في الفتن.. وخاصة تلك الأحاديث التي اختص بها الصحابي الجليل: حذيفة بن اليمان رضي الله عنه !!؟؟ .

الثاني: ماذا جنت الأمة حتى توقعوها في الفتنة ؟ وهل لكم أجر عند الله بهذا العمل، أم هو مخالف بشدة لأمر الله سبحانه وتحذيره بقوله الكريم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وهل فكرتم في جزاء من خالف أمر الله وأمر رسوله !!؟؟ .

= الأصول لابن الأثير ١١: ٥٥٧-٥٥٩، برواياته .

(١) سورة الأنفال، الآية ٢٥ .

فقد خالفتم وبإصرار أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((ستكون فتن: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تتشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به))^(١).

فإذا وضعنا الأمور في كفتين، فإن كفة الخير هي التي ترجح، وهي ما اهتم به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكبار التابعين، بعد ما عصفت بالأمة الفتن، التي تركت آثاراً سلبية على خير القرون، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بانتهى في وقعي: الجمل وصفين، بينما ملتم إلى كفة الشر، بأعمال ظهرت، وأقوال برزت، خطأكم فيها الخاصة والعامة، والبعيد قبل القريب. ولا معادلة بين الكفتين: إلا بالتوبة إلى الله، والبراءة من هذا العمل المشين .

وفي هذا المجال، نجد من المناسب طرح بعض التساؤلات مع هؤلاء الذين تجرؤا على أمتهم بعملهم التكفيري: لولاة الأمر، من حكام وعلماء، ومحكومين، بل في كل من يختلف مع منهجهم، ومسلكتهم التخريبي وفكرهم المنحرف.. فكيف وهم قوم يدعون

(١) رواه مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٩ كتاب الفتن وأشرط الساعة ٥ : ٧٣٤ .

الإسلام، ينشرون الشر والتخريب، في أرض القداصات: عند حرم الله بمكة المكرمة، وعند مسجد رسول الله بالمدينة المنورة .

فنجب أن نخاطب عقولهم، ونحرك ضمائرهم، لعل الله ينير بصائرهم، ليحاسبوا أنفسهم قبل أن تحاسب، وليعرفوا الحق حقاً ويرجعوا إليه، والباطل باطلاً فيبتعدوا عنه، ولا يتغلب عليهم الشيطان ليصروا على أفعالهم وفكرهم، لأن الرجوع إلى الحق، خير من التماسي في الباطل يقول سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(١)، وإنها لأمانة نحملها من سمع ليبلغ قرب مبلغ أوعى من سامع حيث نسألهم بالله الذي يجب أن يستشعروا عظمته وجبروته، بين أعينهم ويضعوا الخوف منه في سويداء قلوبهم، وأمام خواطرهم، بأن يتمنعوا في هذه التساؤلات، ويحيوا بينهم وبين أنفسهم أولاً، مراقبين الله في هذا ثم مطبقين بعد أن يلين الله القلوب، لمعرفة الحق وما يصححه من الدليل: من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء المعبرين .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه ومن دعاكم فأجيبوه))^(٢).

ومن السؤال بالله هذه التساؤلات وما تحمل من معنى،

(١) سورة آل عمران، الآية ٨ .

(٢) من حديث أخرجه أبو داود والنسائي من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ينظر جامع الأصول لابن الأثير ١١ : ٦٩٢ .

وجوابها عنكم معين بإذن الله على الخروج من الفتن، إذا كان وفق أمر الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

التساؤلات:

١ - أليست تعاليم الإسلام تحرم قتل المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))^(١).

فلماذا أقدمتم على القتل، ولماذا أبجتم قتل فئات من المجتمع، وهم أنفس معصومة، مخالفين في ذلك الآيات في سورة النساء^(٢)، ومجتريين على الله في حكمه، ومتهاونين بعقابه سبحانه في القتل العمد .

فكيف تقابلون الله بهذا الجرم، وما حجتكم ؟ إن لم تبادروا بالتوبة الصادقة وتنفيذ شروطها .

٢- وما هو جواب من أفتاكم بقتل الأبرياء من المسلمين والمستأمنين بغير حق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة))^(٣).

(١) حديث صحيح جاء ضمن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع .

(٢) سورة النساء، الآيتان ٩٢، ٩٣ .

(٣) وفي الباب أحاديث صحيحة عديدة كلها وعيد لمن قتل أو اعتدى على معاهد: جامع الأصول ٢: ٦٤٧-٦٥٦ .

ولن يشفع لكم إذا تعلقوا بأعناقكم، أمام الله يوم القيامة، وهم يطلبون من الله أن يقتص لهم منكم، في هذا الموقف الرهيب الذي يحكم فيه الرب الكريم العدل : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ ﴾^(١).

وليس بمبرر أن تقولوا: أفتانا فلان، وغرر بنا علان، ليس لديكم عقول تدرك، وأذان تسمع، وأعين تبصر، وهبكم الله إياها، نعمة من نعمه، فحولتموها نقمة على أنفسكم، وحجة على تصرفاتكم، وأمامكم كتاب الله وسنة رسوله وأقوال العلماء قديماً وحديثاً، ممن لا يصدرون حكماً إلا بدليله موثقاً .

وبأي ذريعة تدفعون عن أنفسكم، وأنتم تتلاومون مع من غرر بكم، والله قد بين لكم المَعذرة في حياتكم الدنيا، وتجاهلتم دلالة هذا القول الكريم: ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلَا نَعْمٍ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝ ﴾^(٢)، فهل ترضون أن تنزلوا إلى مرتبة الأنعام بل أضل لأنها مستجيبة ولم تكلف وأنتم عصيتم مع التكليف .

وليس بخافٍ عندكم أن الوفاء في ذلك الموقف: بالحسنات والسيئات فقط، ثم ما هو جواب من أفتاكم بغير علم، فضل وأظل .

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٩ .

ثم أيضاً لماذا لما تاب من أفتاكم، ونشر توبته، نزعتم الثقة منه،
وتماديتم في غيكم، ورجعتم عليه لتكفروه وتبدعوه ؟ فهل أحكام الله
تتبع الهوى ؟ وهل شرع الله يخضع للرغبات والمزايدات ؟!

٣- وما تدفعون عن أنفسكم إذا خاصمكم أمام الله خلق كثير
ممن نهبتهم ماله: سرقة لسيارته أو تعديتم على حصيلة عمره، وعرق
جبينه، أو تخريباً لمسكنه فأفسدتم ممتلكات وأحرقتم مساكن ومجمعات،
بما ناله من بطشكم، وما تسلط عليه من أسلحتكم وأعمالكم الإرهابية
التي أخافت الآمن، وروعت المطمئن، وأخربتم العامر، ودمرتم بيوتاً
على أهلها الوادعين الآمنين .

فبأي سبب عملتم هذا، وما المبرر الذي حولكم هذا الظلم
والتعدي، ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كل
المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه))^(١) .

لا شك أن الألسنة ستخرس، والجواب لا يقنع؟ بل سوف لن
تجدوا جواباً .

٤- ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد حرم قتل
النساء والصبيان ومن لم يرفع القتال ضد المسلمين، والمدبر، وشدد

(١) من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله
عنه، وانظر جامع الأصول لأحاديث الرسول لابن الأثير، ٦: ٥٢٣-٥٢٥ .

وغضب لما رأى امرأة مقتولة في إحدى المعارك^(١).

فما موقفكم وكل هؤلاء من خصومكم الملتجئون إلى الله أن ينصفه منكم، جزاء أفعالكم في يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فقد عملتم كل هذا الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لم يوجد لديكم حسنات مرصودة لكثرة الدائنين والمظالم التي تجرأتم عليها، فإن هؤلاء الغرماء مكسباً عظيماً بعدل الله وحكمته البالغة، بأن يؤخذ من سيئاتهم فترمى عليكم، ليزداد ثقلها ووزرها عليكم، لتحملوا أوزاراً مع أوزاركم، لترديكم المهالك، والخسارة الأبدية فماذا أعددتُم لذلك الموقف، من استعداد وحجة .

كل هؤلاء نتيجة أعمالكم، خصوم ضدكم، يطلبون من عدل الله في يوم الجزاء والقصاص ورد المظالم، أن يأخذ حقهم منكم؟! ولا يظلم ربك أحداً .

٥- ثم إنكم تكفرون بجرأة: العلماء الأعلام، وولاة الأمور، وكل من لا يتفق مع رأيكم المنحرف، وأعمالكم السيئة الضالة .

وزاد في أمركم أن بعض المفتين لكم، لما تابوا من عملكم وعملهم معكم، بعدما بان لهم الحق كفرتموهم واتخذتم بدلهم مفتين

(١) يراجع في هذا أحاديث أحكام القتال والغزو جامع الأصول ٢:

مضللين غيرهم، حسب الأهواء، ألا تعلمون إثم الجرأة على الفتوى،
ويزيد في الإثم عندما يتعمد ذلك من لا علم عنده، ليحمل وزراً
فوق وزره . فهل كانت تعاليم الإسلام، وشرع الله الذي بين
لعباده، يتبع الهوى، أو يخضع للعناد والمكابرة بل ليست الفتوى
بضاعة تباع وتشترى، ألم يرد عنكم وبينه ضمائركم قول الحق
تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾^(١).

إنه يوم تخضع فيه رقاب الجبابرة لعظمة الله والخوف منه
سبحانه، وأنتم أذلاء أمام الله عز وجل، قد تبرأ منكم من أوقعكم في
المصيدة .

فماذا تجيبون عندما تسألون يوم البعث والنشور، وأسلحتكم
التي تهددون بها، وترفعونها في وجه كل من نصحكم، أو أدام
مخاطبتكم، ليوضح لكم الحق، وتشيحون عنه، هذه الأسلحة ليست
أمامكم في هذا الموقف .

فما موقفكم وأنتم أذلاء، والناس يقتص بعضهم من بعض،
وقد تكاثر أمام الله خصومكم، كل يقول: يارب سل هؤلاء لماذا
كفرونا ؟ يارب سل هؤلاء، لماذا خرجوا عن طاعة ولادة الأمور

(١) سورة المؤمنون، الآية ٧١ .

الذين ما عاهدناهم إلا محكمين لشريعتك، منفذين لحدودك،
ودستورهم القرآن الكريم، ويشهدون لك بالوحدانية ويدعون
لسبيلك بالحكمة والرفق، ويجادلون بالتي هي أحسن .

يارب لماذا روعوا الأمنين، يارب انتقم لنا ممن استهان
بجمراتك، وتعدوا على حرمة بيتك المحرم، في مكة التي حرّمها
إبراهيم الخليل وفي المدينة التي حرّمها محمد صلى الله عليه وسلم .

يارب سل هؤلاء لماذا كفروا المسلمين، وشقوا عصا الطاعة،
وقتلوا الأبرياء، رجالاً ونساءً وأطفالاً ومستأمنين، فتكاثرت عليكم
الاحتجاجات، وزادت المطالبات، فبماذا تجيبون وبأي لسان تدافعون عن
أنفسكم، والأمور واضحة ببراهينها عليكم، بل تشهد بها عليكم أيديكم
وأرجلكم وجلودكم، بعد أن أنطقها الله، الذي أنطق كل شيء .

٦- وأين أنتم بأعمالكم السيئة وقد خلعتكم بيعة السلطان،
وسعيتم في الخروج عليه، في جميع ديار المسلمين من قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم: ((من مات وليس في عنقه بيعة لولي الأمر،
مات ميتة الجاهلية))^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((اسمعوا
وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي))^(٢).

(١) أخرجه مسلم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما برقم ١٨١٥ في
الإمارة .

(٢) رواه الإمام أحمد، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، مسند الشاميين من
مسند الإمام أحمد ١ : ٣٣٤-٣٣٧ .

حتى أكد عليه الصلاة والسلام لمن قال له: ((ولو أخذ مالي ولو جلد ظهري ؟ قائلاً: ولو أخذ مالك ولو جلد ظهرك)) .

ولماذا عصيتهم والديكم لمن كانوا على قيد الحياة، في هذا الأمر ولم تستأذنهم أو تخبروهم؟؟ لما للوالدين من حقوق وواجبات .

٧- ولئن كنتم تدعون الجهاد، فلماذا لم تقرأوا أحكام الجهاد في الإسلام على المذاهب الأربعة؟! لتعرفوا شروطه والتزاماته في شريعة الله ((القرآن الكريم والسنة المطهرة))، لتدركوا رابطة ذلك بولي الأمر، ومن الذي يحق له رفع راية الجهاد ومتى، وما هي آدابه وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

٨- ثم لماذا أخذتم برأي الخوارج في الجهاد، الذين كفروا علماً رضي الله عنه، وندبوا واحداً منهم، فقتله بعد ذلك وكفروا صحابة رسول الله وهم خير القرون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأباحوا دمائهم وأموالهم، وقد بانت آراء العلماء فيهم، منذ خرجوا على علي رضي الله عنه .

فما حجتكم في هذا أمام الله سبحانه يوم القيامة، وبماذا تجيئون وعلى رأي من تستندون؟؟! .

وهل يفتون عنكم، أو يغنون عنكم شيئاً في ذلك الموقف الذي يقول فيه كل فرد: نفسي نفسي، اللهم سلم سلم .

٩- ولما كانت الأحكام ليست بالهوى، ورغبات النفوس، فلماذا خنتم ما أوجب الله في شريعته، شريعة الإسلام التي لا يقبل الله من الثقلين غيرها، لأهل الذمة عقودهم، ولم تراعوا العهود والمواثيق، التي أمر الله بالوفاء بها .

١٠- وهل غاب عن يفتيكم، إن كان حريصاً على الفتوى المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل لماذا تعاميتهم، وأنتم تبدعون مفتياً بان له الحق، وانتقد عملكم لتضعوا غيره، ممن يفتي بغير علم .

لأنكم تبحثون عن إصدار قوله على هواكم، وتملون عليه الفتوى المناسبة لمن كان وراءكم وهي مخالفة لما جاء عند الله سبحانه ولم يأذن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفترون على الله الكذب وأنتم تعلمون، وفي هذا مشابهة لأهل الكتاب الذين ذمهم الله سبحانه، في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

فهل رددتم كل عمل قمتم به إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعرفوا الحق بدليله.. الواقع ينفي ذلك لأن

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

الفتن والمخرج منها _____ د . محمد بن سعد الشويعر

الأمة بقيادتها وعلمائها، وكافة طبقاتها تخالفكم فيما قمتم به، وتنكر تصرفاتكم، وجاء في الأثر: ما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن، وما رأوه قبيحاً فهو قبيح^(١).

- وأيضاً هل في قلوبهم إيمان، ممن خاطبهم الله جل وعلا، مرتين في أول الآية وفي ختامها التي مرت بنا، حيث بان من أعمالكم مخالفة أمر الله في هذه الآية، وبإصرار .

وحيث عصيتم أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام، في أحاديث كثيرة وصريحة، ومنها قوله الكريم: ((لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال))^(٢). وأنتم تلبسون ملابس النساء، لتغدروا وتتسلطوا، وتخدعوا الآخرين، فأوجبتم بالإصرار على هذا الأمر لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوته على من عمل هذا العمل واللعن: يعني الطرد من رحمة الله نعوذ بالله من ذلك، ونسأل الله العافية .

فهل قست قلوبكم وكانت كالحجارة أو أشد قسوة ولم تصغ للنداءات والمواعظ، ولا لتبديع أعمالكم التي تتكرر .

(١) موقوف على أحد الصحابة .

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود برقم ٤٠٩٨ في اللباس، وإسناده حسن من طريق أبي هريرة رضي الله عنه .

بل لم تلن قلوبكم لذكر الله، لتعود إلى الحق، وتتوب من عمل يخالف شرع الله، والحق أحق أن يتبع .

١١- إنها تساؤلات كثيرة، وكل سؤال يحتاج جواب إلى مراقبة الله، وعدم اتباع الهوى أو إثبات طريق الضلال، في تحريم الحلال وتحليل الحرام حول إصراركم وتصرفاتكم، وتسببكم في ترميل نساء وتيتيم أطفال لا ذنب لهم ولا ناصر إلا الله، وأنعم به من ناصر سبحانه .

إن تعمقكم في دلالة النصوص الشرعية في كل تصرف قمتم به، خير معين لإخراجكم من الفتن، والابتعاد عن طريقها، وجلساء السوء الذين يدفعونكم إليها .

ذلك أن الإصرار على الباطل والخروج على ولاة الأمور والتشبه بالفرق الضالة المنحرفة، والتجرؤ على حرمة الله وموالاته من حاد الله ورسوله، من أعظم الجرأة على الله .

كما أن التصرفات التي برزت منكم: الترهيب وبث الرعب، والتخريب والتفجيرات التي نتيجتها القتل والتدمير، والتزويج للآمنين، وتكفير خيرة علماء الأمة في هذا الزمان، ولا نزكي على الله أحداً، وإنما نحسبهم كذلك للإجماع على تفضيلهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة في مقدمتهم الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ

محمد بن عثيمين، والشيخ ناصر الدين الألباني، وهيئة كبار العلماء بالمملكة، وعلماء الإسلام كافة وحكامهم في العالم الإسلامي كله . وهؤلاء وغيرهم ممن شهد لهم القاضي والداني بالورع والعلم والأمانة.. كل هذا من التعدي والظلم والقول على الله، وعلى رسوله بغير الحق .

١٢- كما تجرأتم على الإفتاء بتكفير حكام هذه البلاد خاصة الذين بايعتهم الأمة، والعلماء والعقلاء بإقامة شرع الله، على نهج كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا توجد دولة دستورها القرآن الكريم، وتطبق شرع الله وحدوده على الجميع، إلا هذه البلاد، بل لا يوجد في وثائق الأمم المتحدة منذ تأسست وحتى اليوم، دولة على وجه الأرض، دستورها نسخة من كتاب الله غير هذه الدولة، فهل تريدون بعملكم طمس الحق، وإظهار الباطل، واتباع منهج من لم يحكم بما أنزل الله، عندما فتحتم باب الفتنة بذلك الأمر، كما قال عنكم: خالد الفراج الذي قتلتم والده، فبان له باطلكم، وتبرأ منكم بل بلغت بكم الجرأة إلى تكفير جده - الذي لقي ربه من زمن-، عندما قال لكم عنه: إنه يدعو لولي الأمر منذ عشرات السنين، وكأنكم بهذا تلحقون به الإمام أحمد رحمه الله الذي يقول، مع ما أصابه من محنة وتنكيل: لو كان لي دعوة

مستجابة لصرفتها إلى ولي الأمر، لأن صلاحه صلاح للأمة^(١).

فاتقوا الله في أنفسكم قبل فوات الأوان، وهل تريدون استبدال شرع الله بالأهواء وحكم الجاهلية، ومن ثم الضياع والمعصية لله علناً، مما يوجب غضب الله، ونقمته، بل هل فكرتم في مثل هذه العاقبة فحاسبوا أنفسكم قبل كل شيء وأعرضوا كل أمر على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأتمته بقوله الكريم: ((تركت فيكم.. ما لن تضلوا إذا تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي))^(٢).

وتحذيره عليه الصلاة والسلام من الاختلاف والفرقة، وما يدعو إليهما من قول أو عمل، وتمنعوا في واقع حالكم، قبل فوات الأوان، ولا تستسلموا للشياطين الإنس والجن وأعوانهم، فإنما يريدون أن يجعلوكم وقوداً فتنه عارمة، رأيتم أثرها فيما تساقط من ربكم، وتوبوا إلى الله، مادام باب التوبة مفتوحاً، وتمنعوا فيمن يدفعكم إلى هذه الفتنة أين هو !!؟؟ .

هل دخل معكم هذا العمل ؟ هل أبرز نفسه ؟ أم اختبأ مع الكفار الذين يوجهون، ويدفعون لتأجيج هذا العمل: رغبة في بث الرعب والفوضى، في بلاد المسلمين في حرب معلنة على شرع الله

(١) تراجع صحيفة الجزيرة عدد يوم السبت ١٨/٨/١٤٢٥هـ، ص ٧ في مقابلة مع خالد الفراج .

(٢) رواه مالك في الموطأ رقم ٣ باب الغدر جامع الأصول ١: ٢٧٧ .

ودينه الحق .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أنا بريء ممن أقام بين ظهرائي المشركين))^(١)، ولعل هذا كافٍ لمن في قلبه إيمان وخوف من الله، ليتدارك أمره قبل أن تزل قدم بعد ثبوتها .

١٣- كما أن هناك أسئلة قابلة للطرح عديدة لا يتسع المجال لها، قدمنا لكم بعضها، وهي تدعو للإجابة الصريحة الصادقة، ومن ثم الاستئناس بها، مدعومة بقال الله، وقال رسوله، وما ثبت عن الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، وأيده التابعون، ومن جاء بعدهم بإحسان . بعيدة عن النزعات الشخصية، والآراء الفردية، والتعصب الأعمى، الذي يقود إلى الضلال، والطريق المظلم .

كما أن أعمالكم التي قمتم بها، وسعيتم في تأجيج نارها، في هذه البلاد الآمنة مطمئنة، أنكرها عليكم الخاص والعام، جاءت نتائجها غير مريحة لكم، ولمن وراءكم إذ ازداد التلاحم بين المواطن وولادة الأمر والعلماء .

ولم تخدم إلا أعداء الله، وأعداء دينه الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بل أحدثت صدى سيئاً أضر بالدعوة الإسلامية

(١) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي عن جرير بن عبد الله جامع الأصول ٤ : ٤٤٥ وقال: أثر يروى لبعض الصحابة .

في كل مكان، وضيقة نتيجة لأعمالكم على المسلمين في ديار الغرب: في العبادات والأعمال الخيرية: وفي اللباس وفي حجاب المرأة وأحدثت رد فعل على كل عمل يرتبط بالمسلمين في مجالات عديدة .

فأحزن ذلك كل مسلم غيرته على دين الله الذي طعن ممن ينتمون إليه، وفرح من يضر الشر للإسلام وأهله: بدين الله وبالبلاد.. وتطاولوا على كتاب الله بالبهتان، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله بالحقد والكذب .

فكيف رضيتم لأنفسكم بالسنة السيئة، التي تتحملون وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ^(١). نقول: فهل يرضيكم، وأنتم من بيوت مسلمة، وترعى أمانة الله، بأن تكونوا موالين لأعداء الله، ومخلب قط للحاقدين والأعداء.. والسير في الدرب الذي كانوا يتوقون إليه، ولكن منعهم من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نصرت بالرعب مسيرة شهر)) ^(٢).

(١) ورد في السنة الحسنة والسنة السيئة، أحاديث عديدة، عن جرير بن عبد الله البجلي وغيره، منها بلفظ: سنة خير، وسنة شر، ومنها من دعا إلى هدى، ومن دعا إلى ضلالة، ومنها من سن سنة خير، ومن سن سنة شر فاتبع عليها، ومنها من أحيا سنة من سنني أميتت، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله إلخ . تراجع النصوص في جامع الأصول ٦: ٤٥٧-٤٥٩، ٩: ٥٦٦-٥٦٨ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جامع الأصول ٨: ٥٢٩، ٥٣٠ .

ففتح عملكم الذي قمتم به، لهم الأمل بكسر هذا الطوق، وتجرائم بالاستهانة بأمر كبير في دينكم، فأدركوا - وهم أعداء لله ولدينه - أن الله سيتخلى عنكم بمخالفتكم أوامره سبحانه، وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يهون عليهم الغدر بكم، لأنهم استخفوا بكم، ويريدون تحقيق مآربهم بواسطتكم: ((من عصاني وهو يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني))^(١).

وفيما بقي من الوقت نرجو أن تراجعوا أنفسكم وأن تتوبوا إلى الله توبة نصوحاً والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وجددوا إيمانكم، واستمعوا إلى هذا النداء من رب العزة والجلال واعملوا به: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

ذلك أن الرجوع إلى الحق فضيلة، ومنقبة حميدة، والتمادي في الباطل خسارة وضياح واعتبروا بمن تاب ورجع عن هذا المسلك، وما عبروا عنه، من راحة وإكرام .

١٤- أما بعد هذا الحوار فقد أعذرنا، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ذلك أن شريعة الله لعباده، قد جاءت منذرة للإنسان ومحركة لنبضة الإيمان في قلبه: بالبيان والرفق، والقول الحسن وبالجزاء لمن أطاع والعقاب لمن عاند وعصا .

(١) أثر يروى لبعض الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) سورة النور، الآية ٣١ .

وهذه المعصية جاء الخطاب فيها: من الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، على مراحل: الإنذار ثم التخويف من سوء العاقبة، ومن لم تفد فيه هذه الأمور فإن الجزاء على الحدود والمعاصي، رادع ومنها لسد باب الفتنة، جزاء الحراة في سورة المائدة^(١)، لأن من لم يكن في قلبه واعظ، لا تنفعه المواعظ.. وقد جعل الله لولي الأمر سلطة يردع الله بها المسيء وتخيف من في قلبه مرض ويروى لعثمان بن عفان الخليفة الراشد قوله: يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وإذا كان الأطباء يرون بتر العضو الفاسد، من جسم الإنسان حتى لا يتسبب في موت المريض، فإن في أحكام الله كالحراة، وقطع يد السارق، وقتل الزاني المحصن، وغيرهم صلاحاً للمجتمع، وتخويفاً عن الجريمة والسعي فيها.. والله الحكمة البالغة، في تشريعه لأنه أعلم بما يصلح العباد والبلاد سبحانه، وهو بعباده جل وعلا رؤوف رحيم، تواب غفور .

(١) سورة المائدة، الآيتان ٣٢، ٣٣ .